

علم الأديان الإسلامي بواكير النشأة والتأسيس " المؤسسون الثلاثة: الوراق، وزرقان، والنوبختي "

◆ حكمت البخاتي (*)

بلغ علم الأديان في العصر الحديث مرتبة من الاهتمام الأكاديمي والمعرفي - الثقافي جعلت منه علما خاصا ومصطلحا يلقى رواجاً معرفياً ويحيل ميشال مسلان نشأة هذا المصطلح عن الألمانية فهو الترجمة الحرفية للكلمة الألمانية (Religionswissenschaft) وقد استعملت للمرة الأولى من جانب ماكس مولر في العام ١٨٦٧م ويشير مسلان إلى مناداة برنوف بتأسيس علم للعناصر المتفرقة في الأديان وينعت برنوف هذه المحاولة باسم «علم الأديان» ناسبا فضل التسمية إليه ويعدّ مسلان أن مقارنة هذا المصطلح أو هذا الاستعمال كان لدى الجامعة الفرنسية طويلا تحت اسم « تاريخ الأديان » ثم « التاريخ المقارن للأديان » وتستهدف تلك المحاولات العلمية الأولى في الجامعة الفرنسية تحليلا متكاملا للوقائع الدينية على رأي مسلان الذي يؤكد من جانبه التعقيد البالغ في مصطلح علم الأديان، وخضوعه من جانب آخر إلى تاريخ الأديان، فعلم الأديان من أولياته وضروراته هو تاريخ الأديان وتكليف وظيفته على وفقه في المقارنة التي يبتغيها بين الأديان، ومراحل تطور العقائد والمؤسسات الدينية ويؤكد مسلان أيضا أنه مهما بلغت مزايا علم الأديان فإنه بعيد عن تغطية جميع حقول سلوكيات الإنسان المتدين^(١). « المركزية الأوروبية يحيل مسلان النشأة الأولى لعلم الأديان على وفق تضميناته الفكرية الأخيرة والمعاصرة إلى الفكر

(*) باحث في التراث الإسلامي.

(١) علم الأديان مساهمة في التأسيس، ميشال مسلان، ترجمة عز الدين عناية، الناشر كلمة والمركز الثقافي العربي، السنة ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، ص١٦-

إتيان » وقد نزعوا على وفق مسلان عن منهج تاريخي وضعي ويشير مسلان إلى أهمية مقارنة الأديان في تأسيسات علم الأديان الحديث ويعزوها تاريخيا وبشكل أوسع وأهم إلى الرحلات البحرية والاستكشافية التي كشفت عن أديان ومفاهيم عن الإله مقارنة أو تمكن من المقارنة مع أديان أوروبا (علم الأديان: ٤٣-٤٤) وقد تحولت تلك المقارنة بين الأديان إلى تأملات فلسفية وعلمية مع بنجامين كونستان الذي سعى بواسطة تأملاته تلك إلى معرفة تطورات الأشكال الدينية بوصفها انعكاسات لثقافات إنسانية مختلفة أسهمت تطوراتها في التحولات من التعددية إلى الوجدانية فالوحي الإلهي تطور بالتوازي مع تقدم العقل الإنساني على وفق كونستان (علم الأديان: ٤٩-٥٠) وهكذا نجد أن المقارنة بين العقائد الدينية تشكل الثيمة الأساسية في نشأة وتكوين علم الأديان .

وفي نطاق تلك المقارنات، ولا سيما التاريخية منها تتكشف عوامل وعناصر التنازع بين الملل والنحل التي تبدو على وفق مسلان أو تنحصر على وفقه في الرغبة في التحرر من نظام ديني واحد يعتبر بمثابة السالب لكل حرية دينية وهنا تتفتح بوابة النقد لطابع الإيمان الرسمي أو الأفكار التي يصوغها هذا الإيمان أو النقد للشعائر التي تتكفل بالوساطة بين الإلهي والديني ويظل مبدأ انفصال النحل عن الإيمان الرسمي ادعاءات العودة إلى النقاوة الأصلية والحنين إلى الأصل أو الجذر المؤسس لهوية وتاريخ الجماعة الدينية (علم الأديان: ١٣٤-١٣٥) لكن مسلان أغفل الفواعل السياسية والتحولات الزمنية في انتقالات الأديان إلى المذاهب والملل ودور التأويلات الثقافية المحلية في صناعة الملل وتفرعات الأديان في المذاهب والفرق، إضافة إلى الجدل الكلامي الذي هيمن

الإغريقي الذي ناقش الألوهية المتعالية والألوهية الوثنية والمادية الطبيعية (علم الأديان: ٤٢) ، علما أن هذه التفسيرات وتلك المناقشات كانت محددة ومتموضعة في ضمن حقل علوم الفلسفة وأن من تكلم فيها وناقشها هم الفلاسفة الإلهيون والماديون وبما فيها التفسيرات الرمزية للأسطورة في الحقيقة الخفية الإلهية أو التفسيرات المجازية للأسطورة في الحقيقة المادية للألوهية والتي حاجج بها مسلان في توطيد فكرته لكنها تظل في إطار السياقات الفكرية للفلسفة الإغريقية الأولى ونجد أقدم معالجة فكرية ومناقشة للعقائد الدينية، و لاسيما عقائد الأنبياء والحكماء القدماء في وادي الرافدين في الكتاب الكلداني الذي يحمل عنوان « الفلاحة النبطية » لمؤلفه الكلداني قوثامي الذي يجيء بلقب الكسداني في هذا الكتاب والذي ترجمه في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي إلى العربية المسلم الكلداني أبو بكر أحمد بن وحشية ت ٣١٨هـ أو ٣٥٠هـ والذي يلقب نفسه أيضا بالكسداني^(٢) وفيه جدل بكر وخصب في عقائد التفريد والتوحيد^(٣) وعقائد دينية أخرى قديمة وعديدة .

وأخيرا يلجأ مسلان إلى إحالة أصول هذا العلم إلى النقود الفكرية والنخبوية الأوروبية للدين الرسمي والتي قام بها مجموعة من المفكرين المتحررين من ذوي النزوع البحثي اللاديني أو ما عرف مجمعهم باسم حلقة « خوري سانت

(٢) راجع ، الموروث العراقي القديم في الحضارة الإسلامية « كتاب الفلاحة النبطية المنسوب لابن وحشية نموذجاً » ، د.قيس يس ، منشورات الجمل ، بيروت - بغداد ، السنة ٢٠١٤م ، ١٨٧ وما بعدها -

(٣) التفريد ويعني به توحيد الآلهة في إله كوكبي واحد مثل الشمس أو القمر والتوحيد يعني به التنزيه لله وحده كما ورد في الأديان التوحيدية - المصدر نفسه ص ١٩٢-

تاريخيا على العقل الديني الكتابي وعلى مستوى الأصول من أجل تنقية العقائد فيها وعلى مستوى الفروع من أجل تنقية الأحكام أو الشريعة وهنا نستشهد بالمجامع المسكونية المسيحية والتأويلات الفلسفية والصوفية التي أضفيت على الديانة المسيحية ونستشهد أيضا بعلم الكلام الإسلامي وظاهرة الاجتهاد الفكري والفقه التي رافقت تاريخ الإسلام إضافة إلى التخصصات التي مهرت الديانة اليهودية من فريسين وصدوقيين وأسينين وهي الديانة الأقل تطورا وتشعبا من الديانتين الكبيرتين الإسلام والمسيحية.

وتظل الديانة المسيحية التي تأخذ هنا صيغة المركزية الأوروبية بوصفها منظومة معيارية لدى مسلان في التطورات الدينية وتطورات النحل التاريخية، وهو ما يدعوه إلى... غرض النظر... الغرض النظري العلمي عن البواكير المؤسسة لعلم الأديان في الحضارات والثقافات الأخرى ولا سيما الحضارة والثقافة الإسلامية .

علم الأديان الإسلامي بواكير النشأة...

يكتب ابن وحشية في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وفي مقدمة ترجمته لكتاب الفلاحة النبطية (قد ألفت في هذا المعنى كتابا ضخما حكيته فيه آراء من فضل الفلاسفة، والفلسفة على النبوة، ومن فضل النبوة عليها، ومن سوّى بينهما، ومن سوّى الكاهن بالنبى، ومن فضل النبي على الكاهن، ومن سوّى بينهما وما حدّ الفلسفة وما حدّ النبوة وما حدّ الكهانة) (الموروث العراقي: ٣١) ويشير في هذا النص إلى المقارنة بين العقائد الدينية الفلسفية والنبوية والكهانية والتي كانت تنزع عن منزع واحد هو الألوهية وعالم ما وراء الطبيعة، ويذكر ابن وحشية أنه كان يطرح آراء القدامى من قومه على

العلماء، والمتكلمين والصوفية المسلمين فيذهلوا ويتحيروا ويستحسنوا بعضه ويخبروه أن هذا المعنى لم يخض فيه متكلمو المسلمين (الموروث العراقي: ٣١) وهو نص يكشف عن الجدل الدائر في الوسط العلمي الإسلامي حول عقائد الأديان دون استثناء فيها وإذا كانت وفاة ابن وحشية سنة ٣١٨ هـ فإن تلك النقاشات الحوارات كانت سائدة في تلك الأوساط العلمية منذ النصف الثاني من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي وصولا إلى القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، لكن ابن النديم تـ ٣٨٠ هـ صاحب الفهرست الشهير يحيل إلى أن أول كتاب في مقالات الأديان نسخه بخطه يعقوب بن إسحاق الكندي تـ ٢٥٩ هـ يقول (قرأت في جزء ترجمته ما هذه حكايته، كتاب فيه ملل الهند وأديانها . نسخت هذا الكتاب من كتاب كتب يوم الجمعة لثلاث خلون من المحرم سنة تسع وأربعين ومائتين لا أدري الحكاية في هذا الكتاب لمن هي ، إلا أني رأيت بخط يعقوب بن إسحاق الكندي حرفا حرفا) (الفهرست: ٤٠٩) وهو يعكس اهتمام الحضارة الإسلامية المبكر والسابق بهذا العلم الخاص بالأديان وقد أفرد ابن النديم الجزء التاسع من كتاب الفهرست تحت عنوان المقالة التاسعة في مقالات المذاهب والاعتقادات وأخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين في زمنه وما قبله بقليل وما صنّفوه من الكتب في هذا الفن من المقالات والاعتقادات وهو ما يكافئ علم الأديان في هذا العصر، وقد ابتدأ في الفن الأول من المقالة التاسعة بأقدم ما وصل إليه من الديانات وهي الديانة الحرانية الكلدانية المعروفة لديه بالصابئة ومذاهب الثنوية ونقل كلامه هذا عن ما كتبه أحمد بن الطيب (الفهرست: ٣٨٣) وأحمد بن الطيب هذا هو أبو العباس أحمد بن محمد بن مروان السرخسي صنفه ابن النديم في

قائمة تلامذة الفيلسوف أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي وله كتاب في مذاهب الصابئين ذكره ابن النديم (الفهرست: ٣٢٠-٣٢١) ويكشف ما نقله ابن النديم عنه في حكايته عن الكندي اطلاعا واسعا ومفصلا عن مقالات وعقائد الكلدانيين من الصابئة الحرائين، ونقل أيضا ابن النديم عن كتاب في الديانات لم يحدد زمن تأليفه أو نسخه ومؤلفه هو أبو يوسف أيشع القطيعي النصراني واسم كتابه « في الكشف عن مذاهب الحرائين المعروفين بالصابئة» ، ثم ينقل نسخا عن نسخة مدونة بخط أبي سعيد وهب بن إبراهيم النصراني وموضوع هذا الكتاب هو الأزمنة والمواقيت الدينية للعبادات الحرائية وفيها تفصيل ينبئ عن إمكانية علمية وموضوعية في ذكر مقالات وعقائد الأديان القديمة في بلاد ما بين النهرين، وينقل نسخا عن كتاب آخر في ديانة هؤلاء الحرائين وبخط مؤلف آخر لم يذكر اسمه عن أربابهم وأهتهم وبعض طقوسهم ، وقد بلغ من همة ابن النديم المعرفية والمتابعة العلمية له في علم الأديان أو علم المقالات والأديان أن تحرى عن عقائد الأديان في مصادرها واطلع على أسرارها فقد ذكر أنه وقع إليه جزء نقله بعض النقلة وهو يعني بهم المترجمين من كتبهم ويحتوي على أسرار الحرائين الصابئة الخمسة ، وذكر عن كتاب سرياني فيه أمر مذاهبهم وصلواتهم وقع إلى هارون بن إبراهيم القاضي في حران فأحضر رجلا فصيحاً بالسريانية والعربية وأمره بترجمته إلى العربية من غير زيادة ولا نقصان وينقل ابن النديم عن تداول الناس لهذا الكتاب في عصره (الفهرست: ٣٨٣-٣٩١) ويستشف من كلام ابن النديم أن الحرائين من الصابئة هم وارثوا الدين الكلداني القديم وأن كتبهم وأسرارهم تفصح عن ذلك الدين العراقي القديم ولعلها أفضل المصادر

وأقدمها في الكشف عن تاريخية وتطورات الدين الكلداني القديم والذي اندمجت فيه عقائد التوحيد والتفريد وجاءت واضحة في عقائد الحرائين الصابئة الذين يميزهم ابن النديم عن صابئة البطائح من طائفة المغتسلة (الفهرست: ٤٠٣) لكنه لم يشر إلى كتاب ابن وحشية وما ذكره عن ديانة الكلدانيين وهو من بقاياهم ومن أحفادهم . ويبدو من خلال ما كتبه ابن النديم في المذاهب الثنوية أنه من أهم من كتب في علم المقالات والأديان في تاريخ هذا العلم فقد بدأ في الحديث عن المانوية أو كما أسماها وهو الأصح « المانوية» متحدثا عن رئيسهم ماني بن فتق بابك بن أبي برزام من الحسكانية وأمه مس أو مريم من الأشغانية وانتقالاته في الهجرة والدين حتى أتاه الوحي « التوم» وهو اسمه بالنبطية ومعناه القرين في العربية وينقل كلام التوم إلى ماني وتاريخ خروجه بديانته على وفق ما قالت به المانوية، وهي تعكس مقدرة ابن النديم في الثقافة اللغوية والثقافة الدينية المقارنة التي هي من الشروط المهمة في علم المقالات والأديان والتي مكنت له الحديث في مقالة ماني في صفة القديم وبناء العالم والنزاع أو الحروب كما يسميها بين النور والظلمة وابتداء التناسل على مذهب ماني وصفة أرض النور وجو النور وهما الاثنان اللذان كانا مع 'له النور أزلين وصفة أرض الظلمة وحرها وكيف ينبغي للإنسان أن يدخل في الدين والشريعة التي جاء بها ماني والفرائض التي فرضها وفرض الصلوات فيها ولا يدع شيئا من عقائد ومقالات وتاريخ المانوية إلا واستقصاه وتكلم فيه (الفهرست: ٣٩٢-٤٠١) ثم يكتب في بقايا مذاهب الثنوية من الديصانية والمرقونية والماهانية والجنجيين والرشييين والمهاجرين والكشطين والمغتسلة وهم صابئة البطائح

وفرقهم (الفهرست: ٤٠٢-٤٠٤) ،

وسبعين وثلاثمئة وقد لقيه بدار الروم وأصله من نجران وقد بعثه الجاثليق إلى الصين لمتابعة شؤون النصرارى في تلك البلاد القصية (الفهرست: ٤٠٩-٤١٤) وهكذا يستعرض ابن النديم إنجازات علم الأديان أو علم المقالات والديانات أو البواكير الأولى في تأسيسه في تاريخ وحضارة الإسلام ، وتاريخيا يبدو الكتابة في عقائد ومقالات الأديان الأخرى من غير الإسلام كانت أسبق في عناية وكتابة أصحاب المقالات والديانات من الكتابة في فرق الإسلام ، وقد استطاع كتاب الفهرست وبفضل جهود مؤلفه وكتابه ابن النديم أن يوفر معلومات وأفكارا مهمة حول بواكير النشأة لهذا العلم الإسلامي في المقالات والأديان .

بواكير التأسيس :

لعل أقدم إشارة وردت في المصنفات والكتابات في فن المقالات أو علم الأديان هو ما ذكره ابن النديم عن خط يعقوب بن إسحاق الكندي في ترجمة كتاب ملل الهند وأديانها المذكور آنفا وما لفظه (حكاية عن بعض المتكلمين بأن يحيى بن خالد البرمكي بعث برجل إلى الهند ليأتيه بعقاقير موجودة في بلادهم وأن يكتب له أديانهم فكتب له هذا الكتاب) (الفهرست: ٤٠٩) وهو يعني به الكتاب الذي قرأه حرفا حرفا بخط يعقوب بن إسحاق الكندي وقد أشار ابن النديم إلى ترجمة هذا الكتاب دون أن يشير إلى اسمه أو اسم مؤلفه ومترجمه ويبدو أن الكندي نسخ بخطه عن هذا الكتاب المترجم الذي تعود نسخة الأصل فيه إلى الكتاب الذي كتبه مبعوث البرمكي ويعود في تاريخه إلى عصر البرامكة في القرن الثاني الهجري ولعله كتاب جاء به مبعوث البرمكي من الهند وبلغته الأصلية ثم عهدوا إلى من ترجمه من لغته الأصل إلى العربية وعن هذه النسخة جاءت نسخة الكندي وقد ذكر عنه ابن النديم أشياء في ديانات

ويبدو استنباطا عن ابن النديم أنها مذاهب وفرق تفرعت تاريخيا وتطورت فكريا عن المانوية التي جاءت تطورا عن المسيحية والوثنية والصابئية البطائحية استنتاجا عن ابن النديم (الفهرست: ٣٩٢) مما يشير إلى عراقية تك الديانة وأصولها الرافدينية ، ويذكر أسماء الفرق الدينية المسيحية التي كانت قبل البعثة النبوية المباركة وقد بلغت في عدها لديه ستين فرقة نقلا عن كتاب القحطبي « في الرد على النصرارى » ثم يذكر بعضا من فرق تطورت عن المجوسية كالخرمية والمزدكية والبابكية ومنها المسلمية والسمنية (الفهرست: ٤٠٥-٤٠٨) ، وأما الفن الثاني من المقالة التاسعة في كتاب الفهرست فقد اقتصر ابن النديم على مذاهب الهند والصين ونقل عن خط يعقوب ابن إسحاق الكندي ما خطه بحرفه ترجمة عن مجهول وتحت عنوان « كتاب فيه ملل الهند وأديانها » وكان هذا الكتاب قد وضع بطلب من الوزير العباسي يحيى بن خالد البرمكي تـ ١٩٠هـ وبهذا فهو أقدم كتاب في علم الأديان وفيه حديث عن أسماء مواضع العبادات ببلاد الهند وصفة البيوت وهي بيوت العبادة وحال البددة ويبدو من كلام ابن النديم أن البد هو صورة أو صنم أو تمثال البوذا وقد ذكر عقائدهم المختلفة فيه وجاء وصفه دقيقا كما هو عليه الحال في تمثال بوذا المشاهد إلى هذا اليوم وتحدث عن تمثال الآلهة كالي ووصفها بصفقتها التي هي عليها إلى هذا اليوم لكنه نقلها عن غير الكندي وتحدث عن عبادة الشمس والقمر والأصنام في بلاد الهند وعن سلوك المؤمنين من الرهبان والزهاد الهنود وأضاف ابن النديم إلى موسوعته الدينية ذكر مذاهب أهل الصين وشيء من أخبارهم نقلا عن الراهب النجراني الوارد من الصين سنة سبع

الهند في الفهرست .

ثم تأتي إشارة ابن النديم إلى أقدم كتب المقالات في الفن الأول من المقالة الخامسة من كتابه وهو الجزء الذي يعني بما كتبه وصنّفه العلماء من الكتب في سائر العلوم ولذلك مر على هذه الكتب في المقالات عرضاً دون التفصيل والخوض فيها وهما كتاب المقالات لأبي يعلى محمد بن شداد المعروف بزرقان تـ ٢٧٨هـ أو ٢٩٨هـ وقال عنه ابن النديم كتاب لطيف وقد ذكر زرقان عرضاً في أصحاب أبي الهذيل العلاف المعتزلي تـ ٢٣٥هـ (الفهرست: ٢٠٥) ثم جاءت إشارته إلى كتاب المقالات لأبي عيسى محمد بن هارون بن محمد الوراق تـ ٢٤٧هـ دون توصيف للكتاب واختصر ترجمة الوراق بقوله (من المتكلمين النظارين وكان معتزلياً ثم خلط وانتهى به التخليط إلى أن صار يُرمى بمذهب أصحاب الإثنين) (الفهرست: ٢١٦) ثم يذكر له عدد من الكتب في عقائد الإمامة والرد على الأديان والملل ، ورغم أهمية أبي عيسى الوراق في مصدريته ومصدرية كتابه في المقالات والأديان إلا أن ابن النديم لم يسعه الاهتمام به وأوجز القول فيه واتهمه بالتخليط واعتناق الديانة الثنوية وهو موقف تبناه المعتزلة ورؤساء مذهبهم خاصة ضد أبي عيسى الوراق فقد قال عنه القاضي عبد الجبار الأسدآبادي تـ ٤١٥هـ أنه كان ثنويًا^(٤) لكنه ينسبه إلى الإمامية أو الرفضية في كتابه دلائل النبوة^(٥) والتثنية أو الثنوية مما

(٤) المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي أبي الحسن عبد الجبار الأسدآبادي ، تحقيق د. محمد محود قاسم مراجعة د. إبراهيم مذكور إشراف د. طه حسين ، ج ٥ ص ١١ - (الجزء الخامس جاء في طبعة كتاب المغني بعنوان الفرق غير الإسلامية)

(٥) تثبت دلائل النبوة، أبو الحسين القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار المعتزلي الهمداني الأسد آبادي، الناشر: دار المصطفى - شبرا- القاهرة ، ج ٢ ص ٢٢٥

رمت به المعتزلة وتقدمهم ابن الراوندي في رميه بهذه التهمة على وفق الشريف المرتضى وهو يقول (إن ذلك ممّا رماه به المعتزلة، وقد تقدّمهم في قذفه بها ابن الراوندي لعداوة كانت بينهما وكانت شبهته في ذلك وشبهة غيره تأكيد أبي عيسى لمقالة الثنوية في كتابه المعروف بالمقالات وإطنابه في ذكر شبهتهم)^(٦) بينما أشارت أغلب المصادر إلى صداقته مع أبي عيسى الوراق وأنه قد أتهم أيضاً بهذه الثنوية وتهمة الإلحاد بل إن ابن النديم يذكر قولاً ينسب فيه أخذه الثنوية عن أبي عيسى الوراق (الفهرست: ٢١٦) ، وقد أنكر الشريف المرتضى أن يكون كتاب المشرقى وكتاب النوح على البهائم لأبي عيسى الوراق ونسب تأليفهما إلى بعض الثنوية ونسبوهما إليه ويبرأه الشريف المرتضى من هذه المذاهب القبيحة على وفق وصفه ويذكر أنه لم يكن متظاهراً بها أو متجاهراً فيها ويحيل رأيه فيه إلى بنائه على الظاهر في الدين لأبي عيسى الوراق (الشافى: ٨٩-٩٠). وأما السبب الذي دعا أولئك المعتزلة إلى رميه بالثنوية على وفق الشريف المرتضى هو إطنابه في ذكر شبهات الثنوية وهو يعكس المعرفة الدقيقة والمفصلة بمذاهب الثنوية لدى أبي عيسى الوراق والتي ذكرها بكل تفاصيلها في كتابه المقالات وقد كانت مصدراً رئيساً في ما كتبه القاضي عبد الجبار المعتزلي عن الفرق غير الإسلامية في الجزء الخامس من كتابه المغني، وقد ابتدأ فيه في الكلام على الثنوية القائلين بالنور والظلمة وذكر جمل من مذاهبهم وما تختص به كل فرقة منهم من المذاهب وعلى سعة ما يقارب سبعين صفحة من كتابه وذكر فيها مقالات مذاهب الثنوية التي بلغت سبع مذاهب لديه والروء عليها

(٦) الشافى في الإمامة المؤلف: الشريف المرتضى: مؤسسه الصادق - طهران السنة: ١٤١٠ هـ. الطبعة: الثانية، ج ١ ص ٨٣-٩٠ -

وكانت مصادره في ما أورد وذكر هم الثلاثة المؤسسون في علم الأديان الإسلامي وفي صدارتهم المتكلم الإمامي الحسن بن موسى النوبختي^(٧) - من علماء الثلث الأخير من القرن الثالث الهجري والثلث الأول من القرن الرابع الهجري- وقد وثق مصدره لديه ثم أحمد بن الحسن المسمعي^(٨) وكان مصدرهما بحسب القاضي عبد الجبار هم رؤساء الثنوية عبد الكريم بن أبي العوجاء والنعمان الثنوي وأبو شاكر الديصاني وابن طالوت وابن أخي أبي شاكر وعبد الله بن المقفع وبشار الشاعر وغسان الرهاوي وحمام عجرد مع ذكر اختلافهم في الفروع من الثنوية وأما مصدره الثالث فهو أبي عيسى الوراق المتهم لديه بالثنوية وقد أكثر النقل عنه في تلك المذاهب دون ذكره لمصادره وهو يقول (وحكى عن أبي عيسى الوراق) ويعني به مصدره الأول والمعول عليه بوثاقه النقل الحسن بن موسى النوبختي مما يؤشر نقل النوبختي عن الوراق وأحيانا يصرف القول بتمامه إلى حكاية الوراق ويقول (حكى أبو عيسى الوراق) وأحيانا يحيل إلى كتابه مباشرة فيقول (قال الوراق في كتابه) وهنا يبدو السؤال مهما هل اطلع القاضي عبد الجبار على كتاب الوراق؟ أم إنه استدراك على نقله من كتاب المقالات والآراء للحسن بن موسى

(٧) يرى العلامة السيد هبة الدين الشهرستاني أنه أدرك رأس الثلاثمائة وهو كهل لاستناده إلى قول النجاشي فيه (المبرز على نظرائه في زمانه قبل الثلاثمائة وبعدها) ومعاصرتهم إلى علماء ذكرت تواريخ وفياتهم في سنوات أخيرة من القرن الثالث الهجري وأواسط القرن الرابع الهجري - مقدمة كتاب فرق الشيعة، العلامة هبة الدين الشهرستاني، المطبعة الحيدرية، السنة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م، الطبعة الرابعة، ص ١٤-١٥ -
(٨) ويبدو أنه غير المتكلم المعتزلي محمد بن شداد المسمعي، وناقش ذلك لاحقا.

النوبختي وهو المعول عليه عند القاضي عبد الجبار، وتعكس مؤلفاته في العقائد والأديان إمكانياته الثقافية والعلمية في الأديان والفرق فقد ذكر له ابن النديم (كتاب الحدث، كتاب الإمامة الكبير، كتاب الإمامة الصغير، كتاب الغريب المشرقي في النوح على الحيوان، كتاب اقتصاص مذاهب أصحاب الإثنيين والرد عليهم، كتاب الرد على النصارى، كتاب الرد على النصارى الأوسط، كتاب الرد على النصارى الأصغر، كتاب الرد على المجوس، كتاب الرد على اليهود) (الفهرست: ٢١٦:٩) وذكر له أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس النجاشي ت-٤٥٠هـ (كتاب الإمامة، كتاب

(٩) إستنادا إلى الفهرست لابن النديم فإن أوائل من كتب في الرد على المقالات في الأديان عدد من متكلمي وعلماء المعتزلة وأقدم كتاب وأول رد على النصارى وضعه ضرار بن عمرو ت-١٩٠هـ وله كتب يحتوي على عشر كتب في الرد على أهل الملل وكتاب في الرد على الزنادقة وهي تنصرف إلى المزدكية وأول كتاب في الرد على أهل الإثنيين «الثنوية - المانوية» لأبي إسحاق إبراهيم بن سيار بن هانيء النظام ت-٢٢١هـ وقيل ٢٢٦هـ وثاني كتاب في الرد على النصارى وعلى المجوس وهم أصحاب الإثنيين لأبي موسى عيسى بن صبيح المرदार ت-٢٢٦هـ وثالث كتاب في الرد على النصارى وثالثه في الرد على المجوس وأول الرد على اليهود أو ثانيه بعد المرदार لأبي الهذيل العلاف المعتزلي ت-٢٣٥هـ وثاني الرد على اليهود أو ثالثه ورابع الرد على النصارى لأبي بكر عبد الرحمن الأصبم ت-٢٣٧هـ وإن كان ابن النديم يذكر وفاته سنة ٢٠٠هـ فيكون في هذا هو أقدم من كتب في هذه الردود على مقالات الأديان ثم إن ابن النديم بعد ذكره مؤلفات هؤلاء المتكلمين من المعتزلة يذكر أبي عيسى محمد بن هارون الوراق ت-٢٤٧هـ ومؤلفاته ومنها ما كتب في الرد على النصارى والمجوس واليهود - راجع الجزء الخامس أو المقالة الخامسة، كتاب الفهرست «في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء ما صنّفوه من الكتب في سائر العلوم» ص ٢٠١ وما بعدها -

السقيفة، كتاب الحكم على سورة لم يكن، وكتاب اختلاف الشيعة والمقاتل) (١٠) ولعله من الأوائل من العلماء والمتكلمين المسلمين الذين أسسوا لهذا النوع من الكتابة في أصول الأديان والفرق أو لعله أولهم في ذلك (١١) وبذلك أرسى قواعد علم الأديان الإسلامي ولم تشر المصادر إلى كتاب أقدم منه في المقالات وعقائد الأديان وضعه أحد علماء الإسلام في ما كان مترجماً عن لغات الهند والسرمان الكلدان وثنوية الفرس.

وكتاب «المقاتل» لأبي عيسى الوراق ومصنفاته الأخرى لم تصل إلى المكتبة الإسلامية الحديثة مثل المئات أو الآلاف من المصنفات والمخطوطات الإسلامية القديمة والتي يتوالى الكشف عنها باستمرار، لكن بعض آثارها وردت في كتب ومصنفات المتكلمين والعلماء القدامى من المسلمين والنصارى ومنها ما ذكره يحيى بن

(١٠) رجال النجاشي، الشيخ أبي العباس أحمد بن علي النجاشي، تحقيق موسى الشيبيري الزنجاني، مؤسسة النشر الإسلامي / قم، السنة ١٤٢٩ هـ الطبعة التاسعة، ص ٣٧٢-

(١١) لم نعثر على من سبقه في هذا النوع من التأليف إلا في الإمامة فقد روت مصادر الفهارس الإمامية أن أول كتاب في الإمامة وضعه محمد بن أبي عمير تـ ٢١٧ هـ وهو من أصحاب الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليها السلام وأدرك الإمامين علي بن موسى الرضا ومحمد بن علي الجواد، لكن كتبه لم يبقى منها شيء وقيل قضت بالحرق وقيل بالغرق. فإعتمد الناس على مراسيله ومروياته الشفوية لوثاقته عند العامة والخاصة - راجع، فهارش الشيعة، جمع وتحقيق مهدي خداميان الاراني، الناشر مؤسسة تراث الشيعة / قم، السنة ١٤٣١ هـ الطبعة الأولى، فهرست حميد بن زياد النينوائي، ج ١ ص ٥٩٧، وفهرست محمد بن جعفر بت بطة ج ٢ ص ٧٧١، وفهرست جعفر بن محمد بن قولويه ج ٢ ص ١١٠ - ورجال النجاشي م س، ص ٣٢٦-

عدي الفيلسوف النصراني تـ ٣٦٤ هـ في كتابه «تبيين غلط محمد بن هارون المعروف بأبي عيسى الوراق» من اقتباسات من كتاب الوراق في الرد على النصارى (١٢)، وأما كتاب المقالات فإنه جاء متفرقا في ذكره واقتباساته في كتب المتكلمين والعلماء القدامى من المسلمين مما يعكس أهميته ومصدريته في تأسيس علم الأديان الإسلامي، ولا سيما أن هذه الكتب والمصنفات الإسلامية لا تنقل عن مصدر أو مصنف إسلامي أقدم منه في علوم المقالات والديانات، وقد جاء في وصفه في عصر انتشاره وتداوله بأنه بلغ الكفاءة وبتقييم أحد المهتمين بالعلوم ولا سيما علوم الأديان فقد كتب المتكلم المعتزلي أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي تـ ٣١٩ هـ إلى أحد رواد عصره في العلم (ذكرت أعزك الله ما أحببته من الوقوف على مقالات فرق أهل القبلة دون غيرهم من أهل الكفر والملحدين وقلت: إن المعروف بأبي عيسى الوراق قد بلغ من ذلك الكفاءة) (١٣)، ويشير أبو القاسم الكعبي البلخي هنا ضمنا إلى انصراف كتاب المقالات لأبي عيسى الوراق إلى مقالات الأديان الأخرى دون فرق الإسلام بعبارة «دون أهل الكفر والملحدين» الذي بدا له أو للمخاطب في مقدمة كتابه هذا أن كتاب المقالات لأبي عيسى الوراق قد بلغ الكفاءة في ذلك، ولم يشر إلى نقله

(١٢) عبد الرحمن الطوسي، جهود أبو عيسى الوراق في علم مقارنة الأديان: كتاب «المقاتل» نموذجا، مجلة الدراسات الدينية، ديسمبر ٢٠١٤، العدد ١، ص ٢٩ - :
(١٣) كتاب المقالات، لأبي القاسم البلخي، حققه د. حسين خانصو ود. راجح الكردي ود. عبد الحميد، دار الفتح، السنة ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م الطبعة الأولى، ص ٤٩-

وحكى في المورد الثالث عن قول أبي عيسى الوراق في الاستطاعة مع الفعل^(١٤) ويؤشر الكعبي البلخي هنا خروج أبي عيسى الوراق عن المعتزلة في هذا القول وقد تبعه ابن الراوندي في هذا الخروج (المقالات: ٣٠٥) وفي المورد الرابع ينقل عنه قوله الكلامي في حال الجسم عند خلق الله تعالى له ساكنا أو متحركا^(١٥) (المقالات: ٤٤٥) وفي المورد الخامس ينقل قوله الكلامي في ماهية الكلام وأن الحروف ليست بكلام (المقالات: ٤٧٢) وفي المورد السادس ينقل قوله الأصولي في الإجماع (المقالات: ٤٩٠) وفي المورد السابع والأخير ينقل قوله الكلامي عن جواز أن يكون الإنسان قائما وقاعدا أو متحركا وساكنا (المقالات: ٥٣٧) ، لكنه لم يذكر نقلا واحدا عنه في كتابه اللاحق على المقالات والذي جاء باسم « الفن الخامس من كتاب عيون المسائل والجوابات » وهو في غير مقالات وعقائد فرق الإسلام وهو يتناول مسائل الثنوية ومبطلو النظر العقلي^(١٦) ومسائل الملحدين ولا سيما أن الكعبي

(١٤) يقول الكعبي البلخي (وقال قوم ممن ينتحل العدل : إن الإستطاعة مع الفعل إلا أنها يصلح أن يكون بها في حال حدرتها للطاعة والمعصية والفعل وتركه كل واحد بدلا من صاحبها وإنها تحدث في كل وقت ولن تبقى ... وبه كان يقول أبو عيسى الوراق وإليه سار ابن الراوندي حين طرده المعتزلة من مجالسها) (م ن: ٣٠٥)

(١٥) يقول الكعبي البلخي (وقال قوم - منهم أبو عيسى الوراق - : قد يجوز أن يكون في تلك الحال ساكنا ويجوز أن يكون متحركا) (م ن: ٤٤٥)

(١٦) في كتابه « عيون المسائل والجوابات » يحتاج البلخي مبطلو النظر العقلي ويناقش أدلتهم في إبطال النظر ويعني به العقل ولعله يناقش صمنا وقصدا أصحاب مقولة النقل والرواية وهم أهل الحديث من المسلمين الذين خالفوا المعتزلة في مذهب العقل والنظر وناقش مقولة القدم والحدث أيضا وهي من المسائل التي أولاها المعتزلة إهتماما بالغا .

عن كتاب المقالات لأبي عيسى الوراق فقد كان كتابه « المقالات » موضوعا في مقالات المتكلمين وعقائد فرق المسلمين لكنه نقل في جدل السوفسطائية نصا عن كتاب آخر لأبي عيسى الوراق وجاء ذكره حصرا لدي الكعبي البلخي فقال (وقد حكى أبو عيسى الوراق في كتابه « كتاب مقالات الملحدين » أن رجلا من السوفسطائية كان يختلف إلى رجل من أهل الكلام) (كتاب المقالات: ٧٨) ويبرز هنا السؤال هل هذا الكتاب هو « كتاب المقالات واختلاف الناس » عينه أم كتاب آخر مستقل بذاته جاء يحمل اسم « مقالات الملحدين » ولعله يقصد كتاب « المقالات » بذاته ويقصد بالملحدين الثنوية أو أصحاب الإثنين - المانويين فقد كان المعتزلة في هذه الفترة شديدين الوطأة على المخالفين دينيا ومذهبيا لهم ، فهم وراء رمي ابن الراوندي وأبي عيسى الوراق بالكفر والثنوية والإلحاد وكانت سابقة الإكراه على عقيدتهم قد وصمت تاريخهم وللأسف مع قضية خلق القرآن ومحنة العلماء والناس فيها ،

وكتاب المقالات لأبي القاسم الكعبي البلخي هو أقدم كتاب وصل إلينا يروي أو ينقل عن كتب أبي عيسى الوراق لكن لم يشير أو يظهر نقله عن كتاب المقالات لأبي عيسى الوراق فقد نقل في سبع موارد عن تلك الكتب دون أن يشير أيضا إلى أسمائها وإن أشار فيها إلى اسم أبي عيسى الوراق باستثناء « مقالات الملحدين » وهو المورد الأول ونقل في المورد الثاني عن عقائد الشيعة لا سيما الإمامية (المقالات: ٩٧) وهو ما يدعنا نعتقد أنه نقل عن أحد كتب الإمامة الثلاث التي وضعها أبو عيسى الوراق ولم ينقلها عن كتاب « المقالات »

في مقالات وعقائد الأديان الأخرى من الكتابية وشبه الكتابية والوثنية والمحددة الفلسفية ، ورغم أن هذا الحقل المعرفي كان سابقا على أبي عيسى الوراق إلا أن ما كان لاحقا عليه قد بدا متأثرا كثيرا بما كتبه ووضع أبو عيسى الوراق يقول الشرفي (فإن رده هذا - يقصد كتاب الرد على النصارى - قد كان له أثر بالغ في الردود التي تلتها من حيث التخطيط ومن حيث المحتوى وخاصة في ما جاء عن النصارى في التمهيد للباقلاني والمغني لعبد الجبار بل إننا لا نستبعد أن يكون أثره تجاوز المفكرين المسلمين إلى المفكرين المسيحيين أنفسهم فاستغلوا ما جاء فيه في الجدل بين مختلف فرقهم^(١٨) ، ويستشهد بالمقارنة بين رد أبي عيسى الوراق على النساطرة ورد سعيد بن البطريق الملكاني تـ ٢٢٨هـ عليهم وكذلك بين رده على اليعقوبية ورد ابن البطريق عليهم (الفكر الإسلامي: ١٤) ، وقد أصر الشرفي ذكر أبو عيسى الوراق بعد القاسم بن إبراهيم الحسني الرسي تـ ٢٤٦هـ وأبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي تـ ٢٥٢هـ وأبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ تـ ٢٥٥هـ وأبو العباس عبد الله بن محمد الأنباري الناشيء الكبير تـ ٢٩٣هـ وهو تقديم وتأخير يتعلق بمصدرية التأثير وتقدمه مع تقدم زمن وحياة الكاتب والمؤلف فالشرفي يعتقد

(١٨) الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع / العاشر ، عبد المجيد الشرفي ، دار التونسية للنشر - تونس والمؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر ، السنة ١٩٨٦ م ص ١٤٦ -

البلخي يذكر كتاب أبي عيسى الوراق في مقالات الملحدين ولعله ينقل عنه دون الإشارة إلى صاحبه ومؤلفه ، وأما ثالث المصادر التي نقلت عن « كتاب المقالات » فهو البيروني في كتابه « الآثار الباقية» وجاء فيها ذكر بعض فرق اليهود وهي فرقة لم تتطرق إليها الكثير من المصادر القديمة مما يكشف عن سعة إطلاع ومعرفة أبو عيسى الوراق بمقالات وعقائد الأديان وجاء في نص البيروني (وحكى أبو عيسى الوراق في كتاب المقالات عن نوع من اليهود يقال لهم المغارية أنهم يزعمون أن الأعياد لا تصح إلا بأن يكون القمر في ليلة الأربعاء وهي التي تتلو نهار الثلاثاء عند غروب الشمس يطلع بدرا ويكون في أرض بني إسرائيل فذلك رأس السنة ومنه تعد الأيام والشهور وعليه تدور الأعياد لأن الله تعالى خلق النورين العظيمين في يوم الأربعاء كأنهم لا يجيزون الفصح إلا يوم الأربعاء ولا يوجبون شرائطه وسنته الا على من حل أرض بني اسرائيل وذلك خلاف ما عليه جمهورهم وضد نطق به التورية)^(١٧) وفي عيد المظالم اليهودي نقل عنه البيروني (وحكى أبو عيسى الوراق في كتابه المقالات أن السامرة لا تُعيده) (الآثار الباقية: ٢٧٧)،

ويشير د. عبد المجيد الشرفي إلى تأثير أبي عيسى الوراق في الفكر الإسلامي، و لا سيما الكلامي والجدلي ومصدريته في تكوين وتأسيس الحقل المعرفي الذي تفرع عن علم الكلام وعلم الأديان الإسلامي إلا وهو حقل الردود على الديانات الأخرى التي برع فيه المتكلمون المسلمون من مختلف المذاهب والتي عكست قدرتهم العلمية والمعرفية

(١٧) الآثار الباقية ، أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي ، دار صادر بيروت ، ص ٢٨٤ -

ويرجح وفاة أبو عيسى الوراق في سنة ٢٩٧هـ^(١٩) لكن الشرفي يكون قد أخطأ في هذا التاريخ في سنة وفاة أبي عيسى الوراق ، وتبدو نهايته غير معروفة على وجه التحقيق فقد سكتت الكثير من المصادر عن ظروف وفاته أو نهايته بينما تحدثت مصادر قد يبدو من الصعب التعويل عليها عن نهاية حياته في السجن موتا وهي رواية المعتزلي أبو علي الجبائي تـ ٣٠٣هـ التي انفرد بها^(٢٠) ونقلت عنه المصادر الأخرى^(٢١) وقد ناله بأسوأ العبارات وأقدحها (الإنتصار: ١٥٣ و ٢١١) ، و سكت ابن خلكان تـ ٦٨١هـ في « وفيات الأعيان» عن وفاته وكذلك فعل بن العماد الحنبلي تـ ١٠٨٩هـ في »

(١٩) يشير الشرفي إلى خطأ الناسخ في رسم التسعة أربعة فتكون وفاته ٢٩٧هـ (م ن : ١٤٢) لكن المسعودي وابن النديم يذكرون وفاته سنة ٢٤٧هـ ولعله إشتباه بينه وبين ابن الرواندي الذي ذكرت المصادر وفاته سنة ٢٩٧هـ لا سيما مع العلاقة المروية بين أبي عيسى الوراق وابن الرواندي ، ويشير عبد الأمير الأعسم إلى حياته التي عاشها بين ٢٠٥هـ و ٢٤٥هـ على وجه التحقيق كما يقول - راجع تاريخ إبنالريوندي الملحد ، أ.د عبد الأمير الأعسم ، دار التكوين ، السنة ٢٠١٠م الطبعة الأولى مج ١ ص ٥- .

(٢٠) الانتصار على ابن الرواندي الملحد ، أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد عثمان الخياط المعتزلي ، تحقيق د. نبيرج، تقديم عبدالأمير الأعسم ، دار التكوين سوريا، السنة ٢٠١٠م الطبعة الأولى، ص ٣٢ -

(٢١) سير أعلام النبلاء ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط أكرم البوشي ، مؤسسة الرسالة بيروت ، السنة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م الطبعة الثانية ج ١٤ ص ٦٠- وكل من ترجم أو تكلم عن أبي عيسى الوراق لا سيما من المتشددين بإزائه ينقلون رواية وفاته في السجن عن أبي علي الجبائي وأما الآخرون الذين ترجموا أو تكلموا عن أبي عيسى الوراق لم يتحدثوا عن ظروف نهايته وخاتمة موته .

شذرات الذهب في أخبار من ذهب » وذكره ابن كثير عرضا في كلامه عن ابن الرواندي الذي أرخ لوفاته في سنة ٢٩٨هـ فقد جاء في حوادث هذه السنة في نص ابن كثير (وقد كان أبو عيسى الوراق مصاحبا لابن الرواندي قبجها الله فلما علم الناس بأمرهما طلب السلطان أبا عيسى فأودع السجن حتى مات)^(٢٢) وهو ينقل هذا الكلام عن أبي علي الجبائي مع عدم التصريح بمصدره ودون ذكر سنة وفاته ، إلا أنه يفهم مقاربة وفاته لسنة وفاة ابن الرواندي سنة ٢٩٧هـ على وفق بعض المصادر وهو ما دعا الشرفي إلى التوهم في سنة وفاته ولعل الأصح في وفاة ابن الرواندي هو سنة ٢٤٥هـ وفق ما ذكره ابن خلكان وقيل سنة ٢٥٠هـ^(٢٣) ، وهو التاريخ الأنسب على وجه التحقيق في سنة وفاة أبي عيسى الوراق للملازمة والصدقة بينه وبين ابن الرواندي كما حكى عنهما أغلب المصادر ، ولم يذكر ابن كثير وقبله أبو علي الجبائي ظروف سجنه واسم السلطان الذي سجنه ومحل سجنه مما يدع روايته متهافتة وغير جديرة بالأخذ ، وأما المؤرخ أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي تـ ٣٤٥هـ فإنه يذكر وفاته في الجانب الغربي في الموضع المعروف بالرملة سنة ٢٤٧هـ

(٢٢) البداية والنهاية ، عناد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير البصري دمشقي ، راجع تصه وضبطه د. سهيل زكار ، دار صادر بيروت ، السنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م الطبعة الأولى ، ج ١١ ص ٣٠١٨ -

(٢٣) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أب بكر بن خلكان ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، السنة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م الطبعة الأولى ، ج ١ ص ٧٨ -

ووفاة ابن الراوندي سنة ٢٠٥هـ^(٢٤) ولعله خطأ بالنسخ أو السهو فهو كان يذكر وفاة جماعة من المعتزلة من سنة ٢٢٦هـ وما بعدها بل ويذكر وفاة إبراهيم بن العباس الصولي في هذه السنة التي توفي فيها ابن الراوندي دون أن يذكر تاريخها ومن المعلوم أن وفاة الكاتب الصولي في سنة ٢٤٣هـ وقيل في بعض الروايات أن ولادة ابن الراوندي سنة ٢٠٥هـ، وأما موضع الرملة التي توفي فيها أبو عيسى الوراق فهي محلة نحو شاطئ دجلة مقابل الكرخ ببغداد^(٢٥)،

وإذا كانت حياة هذا المتكلم الكبير والعالم المؤسس والملم بمقالات وعقائد الأديان والديانات السائدة أو حتى القصية عنه في عصره قد انتهت إلى ذلك التكفير والتنفير عنه فإنه خلف للأمة والحضارة الإسلامية جهدا علميا وفكريا حريا بالاهتمام به ومتابعته، وقد أكمل ما ابتدأه وأسس له في علم الأديان الإسلامي متكلم معتزلي آخر هو أبو يعلي محمد بن شداد المسمعي المعروف بزرقان تـ ٢٧٨هـ ذكر عنه أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي تـ ٤٦٣هـ (كان أحد المتكلمين على مذاهب المعتزلة، وحدث عن يحيى بن سعيد القطان، وأبي زكير المديني، وعباد بن صهيب، وأبي عاصم النبيل، وعون بن عمارة، وأبي عامر العقدي، وروح بن عباد، وجعفر بن

(٢٤) مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، ضبط أسعد داغر، دار الأندلس بيروت، ج٤ ص٢٣- وفي بعض النسخ ان وفاته سنة ٢٤٥هـ (نسخة دار صادر، ضبط عفيف نايف حاطوم، السنة ٢٠٠٥م الطبعة الأولى، ج٣ ص٢٧٩- ٢٨٠)

(٢٥) معجم البلدان، العلامة ياقوت الحموي، دار بيروت ودار صادر بيروت السنة ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م، مج٣ تسلسل ٩ ص ٦٩-

عون، وعبيد الله بن موسى. روى عنه: الحسين بن صفوان البرذعي، ومكرم بن أحمد القاضي، وأبو بكر الشافعي). وقال البغدادي: سألت أبا بكر البرقاني، عن محمد بن شداد المسمعي فقال: ضعيف جدا. وقال لي مرة أخرى: المسمعي لا يحتج به. وقال لي مرة أخرى: كان أبو الحسن الدارقطني يقول: محمد بن شداد المسمعي، لا يكتب حديثه. حدثني عبيد الله بن عمر الواعظ، عن أبيه قال: حدثني أبو بكر الشافعي قال: ومات محمد بن شداد المسمعي سنة ثمان وسبعين ومائتين وقيل سنة تسع وسبعين ومائتين ببغداد^(٢٦).

وذكره شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تـ ٧٤٨هـ (محمد بن شداد بن عيسى الشيخ المعمر، المسند أبو يعلي المسمعي البصري، ثم البغدادي، المتكلم المعتزلي، الملقب بزرقان. آخر من حدث عن يحيى بن سعيد القطان، وأبي زكير يحيى بن محمد المدني. وحدث عن: عباد بن صهيب، وروح بن عباد، وجماعة. حدث عنه: الحسين بن صفوان، ومكرم بن أحمد القاضي، وأبو بكر الشافعي، وغيرهم. قال أبو بكر البرقاني: ضعيف جدا، كان الدارقطني يقول: لا يكتب حديثه) سير أعلام: ج١٣ ص١٤٩) وروى حديث عجيب فيما عليه المعتزلة من العدل والتوحيد وينسب الحديث إلى أبي الهذيل العلاف قال: أخذت ما أنا عليه من العدل والتوحيد عن عثمان الطويل، وأخبرني أنه أخذه عن واصل بن عطاء، وأخذه عن عبد الله بن محمد ابن الحنفية، وأخذه من أبيه، وأخبره أنه أخذه عن أبيه

(٢٦) تاريخ بغداد أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، السنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م الطبعة الأولى، ج٢ ص ٤٢٧ - ٤٢٨.

علي ، وأنه أخذه عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأخبره أن جبريل نزل به عن الله تعالى. وعلق عليه الحافظ الذهبي بقوله (حديثه عال في « الغيلانيات » بالمرّة فمن بلاياه) ويروي هذا الحديث عنه ويصفه بأنه متهم به (سير أعلام: ج ١٣ ص ١٤٩)

وفي مراد أمير المؤمنين عليه السلام بالهمامة قال ابن أبي الحديد المعتزلي (حكى زرقان في كتاب « المقالات » وأبو عيسى الوراق ، والحسن بن موسى، وذكره شيخنا أبو القاسم البلخي في كتابه في « المقالات » أيضا عن الثنوية : أن النور الأعظم اضطربت عزائمه وإرادته في غزو الظلمة والإغارة عليها ، فخرجت من ذاته قطعة وهي الهمامة المضطربة في نفسه فخالطت الظلمة غازية لها، فاقتطعتها الظلمة عن النور الأعظم ، وحالت بينها وبينه ، وخرجت همامة الظلمة غازية للنور الأعظم ، فاقتطعها النور الأعظم عن الظلمة ، ومزجها بأجزائه ، وامتزجت همامة النور بأجزاء الظلمة أيضا ، ثم ما زالت الهمامتان تتقاربان وتتدانيان وهما ممتزجتان بأجزاء هذا وهذا حتى انبنى منهما العالم المحسوس) (شرح نهج: ج ١ ، ٨٢)

وذكره أبو القاسم البلخي تـ ٣١٩ هـ في مقدمة كتابه المقالات فيقول (وإنك نظرت في كتاب زرقان وإلى ما زاد فيه غسّان وزعم أنه أصلحه ... ولم نقف لزرقان على نسخة صحيحة) (المقالات: ص ٤٩) وهي أقدم شهادة على هذا الكتاب وعلى فقدان الأصل فيه وإنما كان متوفرا نسخة منه تدخل فيها المدعو غسّان وأصلحها في زعمه ، ويبدو أنها تركت ولم يعول عليها لأن صاحبها كان متروك الحديث ، لضعفه واتهامه بالوضع ، إلا إن إشارة ابن أبي الحديد المعتزلي إلى كتابه فيما تقدم إليه وهو من رجال النصف الأول من القرن

السابع الهجري تشير إلى وجود هذا الكتاب إلى عصر متأخر عن عصر تأليفه ووضعه، ولم يكن معولا عليه لدى أبي الريحان البيروني وهو الإمام في هذا العلم والمعول عليه في علم الأديان الإسلامي وقد حمل اللوم على أبي العباس الإيراني شهري تـ بعد ٢٥٩ هـ على نقله من كتاب زرقان^(٢٧) .

إلا أن القاضي عبد الجبار يحكي عن أحمد بن الحسن المسمعي في مقالات وعقائد المنانية والمرقونية والديسانية ،

وقد ذكر شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني تـ ٨٥٢ هـ في لسان الميزان أحمد بن الحسين المسمعي وذكر كتابه المقالات ويقول حكاه ابن عساكر^(٢٨)، لكن عند أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي بن عساكر تـ ٥٧١ هـ ورد اسم أبي علي محمد بن شداد المسمعي في حديث يرويه في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام^(٢٩) .

لكنه ذكر أحمد بن الحسين المسمعي ونسب إليه كتاب « في معرفة ما يحتاج الملوك إلى معرفته في أصول الدين وأقاويل فرق الأمة » (تاريخ دمشق: ج ٤٩ ص ٥٦)

(٢٧) ما للهند من مقولة مقبولة ومرذولة، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن- الهند، السنة ١٣٧٧ هـ-١٩٥٨ م، ص ٥

(٢٨) لسان الميزان ، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان ، السنة ١٩٧١ م - ١٣٩٠ هـ. الطبعة الثانية، ج ٤ ص ٤٥٩ -

(٢٩) تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها ، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي بن عساكر ، تحقيق علي شيري دار الفكر بيروت - لبنان السنة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م الطبعة الأولى، ج ٤٢ ص ٤٢٢ -

وهذه المصادر تؤكد نسبة كتاب المقالات إلى أحمد بن الحسن المسمعي ما خلا ابن النديم فإنه ينسبه إلى محمد بن شداد المسمعي بل إن ابن عساكر ينسب إلى أحمد هذا كتاب آخر في أصول الدين وأقاويل فرق الأمة وهو ما يضع سؤالاً حول هذا الكتاب الأخير وهل هو عينه كتاب المقالات للمسمعي أم كتاب آخر في فرق الإسلام علماً أن القاضي عبد الجبار استند إلى أحمد بن الحسن المسمعي في مقالات الأديان من غير فرق الإسلام بينما اكتفى أبي القاسم البلخي الكعبي بلقب زرقان في نسبة كتاب المقالات إليه وهو لقب محمد بن شداد المسمعي كما ذكرت المصادر، مما يضعنا أمام لغز نسبة هذا الكتاب لأي المسمعيين منهما . ويبدو أن التطابق بينهما صعب جداً، واستناداً إلى أبي القاسم وابن النديم فإن المتكلم المعتزلي محمد بن شداد الملقب بزرقان هو المؤسس الثاني لعلم الأديان الإسلامي لكن النقل عن أحمد بن الحسن المسمعي، وقد نجد الحل لدى المؤرخ السعودي تـه ٣٤هـ الذي يفرق بين زرقان غلام إبراهيم بن سيار النظام تـ ٢٢١ أو ٢٢٩هـ وهو ينسبه إلى النظام وليس أبي الهذيل العلاف وأحمد بن الحسن بن سهل المصمعي على وفق السعودي المعروف بابن أخي زرقان ولم يذكر لقبه المسمعي وإنما المصمعي ولعله خطأ النسخ أو السهو ويذكر السعودي زرقان والمصمعي هذا في ضمن مجموعة من العلماء والمتكلمين الذين وضعوا كتب المقالات والردود على مقالات الأديان والفرق^(٣٠) .

وأما ثالث أولئك المؤسسين لعلم الأديان الإسلامي فهو الحسن بن موسى النوبختي تـ ٣١٠هـ وقد

(٣٠) التنبيه والإشراف، أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي، تصحيح ومراجعة عبد الله إسماعيل الصاوي مكتبة المثني - بغداد، السنة ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م، ص ٣٤٢-

شغلت شخصية الحسن بن موسى النوبختي اهتمام الكتاب والباحثين ولاسيما القدامى من أصحاب الفهارس وكتب المقالات فقد ترجم له ابن النديم بقوله (وهو أبو محمد الحسن بن موسى بن أخت أبي سهل بن نوبخت، متكلم فيلسوف كان يجتمع إليه جماعة من النقلة لكتب الفلسفة ... وكانت المعتزلة تدعيه والشيعية تدعيه ولكنه إلى حيز الشيعة هو^(٣١) ... وكان جماعة للكتب قد نسخ بخطه شيئاً كثيراً وله مصنفات وتأليفات في الكلام والفلسفة وغيرها) (الفهرست: ٢٢٥) وترجم له أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس النجاشي الأسدي تـ ٤٥٠هـ بقوله (شيخنا المتكلم المبرز على نظرائه في زمانه قبل الثلاثمائة وبعدها له على الأوائل كتب كثيرة) (رجال النجاشي: ٦٣) ثم يعد مصنفاته وبأسمائها حتى بلغت ثمانية وثلاثين كتاباً^(٣٢) وفي مختلف علوم العقل والكلام الشائعة في وقته، وكلا المترجمين له ابن النديم والنجاشي يضعان كتاب « الآراء والديانات » في أول قائمة كتبه وتصانيفه لكن ابن النديم يذكر أنه لم يتمه وأما النجاشي فإنه يقول (كتاب كبير حسن يحتوي على علوم كثيرة) وشهادته شهادة عيان فهو قد قرأه على شيخه (رجال النجاشي: ٦٣)

وقال عنه شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تـ ٧٤٨هـ (العلامة ذو الفنون

(٣١) جاء في نسخة الفهرست مأهـو- بفتح الميم والهمز في الألف وضم الهاء- ولا معنى لها سوى « هو » (٣٢) عدّ له السيد المحسن العاملي سبعة وأربعين كتاباً معتمداً على المصادر الفهرستية والرجالية التي ترجمت له - راجع أعين الشيعة ج ٥ ص ٣٢٠-٣٢١-

(٣٣) بني توبخت، عباس إقبال الأشتياني، ترجمة علي هاشم الأسدي، مجمع البحوث الإسلامية / مشهد، السنة ١٤٢٥هـ، الطبعة الأولى، ص ١٥٥-

أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي الشيعي المتفلسف صاحب التصانيف ... وله كتاب الآراء والديانات وكتاب وأشياء) (سير أعلام: ج ١٥ ص ٣٢٧) وهو أيضا يضع في أول كتبه كتاب « الآراء والديانات »،

وقد عرفته بعض المصادر القديمة بابن أخت أبي سهل بن نوبخت وقد وأورث ذلك مجهولية والده لدى البعض والتشكيك في نسبه إلى بني نوبخت وأبي سهل هذا هو إسماعيل بن علي بن إسحاق بن إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت وهو فيلسوف ومتكلم وصاحب تصانيف كثيرة من أكابر الإمامية عاش في الثلاثمائة للهجرة ، وأما أبو الحسن فهو موسى بن الحسن بن محمد بن العباس بن إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت المعروف بابن كبرياء وله معرفة بالنجوم والكلام وله تصانيف فيهما^(٣٤) وهو يشترك في مجالات العلوم لاسيما النجوم والكلام مع ولده الحسن مما يعزز احتمال أبوته له وعدم مجهولية نسب والده، وأما استدلال عباس إقبال بدلالة تلقيبه بابن أخت أبي سهل فقد أطلق قريبا من هذا اللقب أيضا على ابن أخ زرقان وهو أحمد بن الحسن المسمعي أو المصمعي، ويبدو أنها طريقة في نسبة الأبناء إلى كبار الأسر ورؤسائهم ، وقد نجا الحسن بن موسى النوبختي من اتهامات وظنون التكفير لدى فقهاء ومتكلمي عصره وما بعده وعلى خلاف ما كان يحدث من طرد وتكفير لمن كتب في مقالات الأديان ولاسيما الثنوية والبرهمية وهو ما حدث مع ابن الراوندي والوراق ثم ما حدث مع أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني تـ

(٣٤) راجع مقدمة كتاب « فرق الشيعة » للنوبختي التي كتبها علامة العراق السيد هبة الدين الشهرستاني ، المطبعة الحيدرية - النجف، السنة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م، ص ٧ - ١١

٥٤٨هـ صاحب كتاب الملل والنحل فقد قال عنه مؤرخ خوارزم (ولو لا تخبطه في الاعتقاد وميله إلى هذا الإلحاد لكان هو الإمام ... وقد حضرت عدة مجالس من وعظه فلم يكن فيها لفظ قال الله ولا قال رسول الله)^(٣٥) ولكن صاحب تاريخ خوارزم ينسب ذلك إلى اشتغاله بالفلسفة (معجم البلدان: ج ٣٧٠، ١٢) بينما ينسب آدم متز ذلك إلى اشتغاله بعلم الملل المقارن^(٣٦) ، ولعل ذلك هو الصحيح فلم يكن ابن الراوندي والوراق من المتفلسفة أو ممن اشتغلوا بعلم الفلسفة لكن التشكيك بعقائدهم ظل هو الحكم السائد بحقهم، لكن النوبختي لم يكن فيه جرح أو تشكيك في عقيدته رغم أنه متكلم وفيلسوف وله مصنفات ومؤلفات في الفلسفة والديانات (الفهرست: ٢٢٥) ويبدو أن شخصيته المرضية عند القدامى هي من جعلته بمنأى عن الاتهامات والازدراء ، أو لعله لم يشترك في الجدل المذهبي الذي انشغل به كثيرا ابن الراوندي والوراق، او لعل رده على أبي عيسى الوراق ونقض كتابه المنسوب إليه « الغريب والمشرقي » (الفهرست: ٢٢٦) هو من دفع عنه تهمة الثنوية البرهمية وهي التي لاحقت صاحبه في تأسيس علم الأديان الإسلامي أبي عيسى الوراق، وقد يكون للشأن العائلي السياسي والاجتماعي الذي حظيت به عائلة بني نوبخت أثر أو سبب في عدم الطعن عليه أو على دينه أو مذهبه فقد لازمت عائلته سياسيا دولة بني العباس

(٣٥) معجم البلدان:، اشعاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، دار صادل ودار بيروت - بيروت ، السنة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م ج ١٢ ص ٣٧٠ -

(٣٦) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، آدم متز ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده ، دار الكتاب العربي ومكتبة الخانجي - بيروت ، السنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م ، الطبعة الرابعة ، مج ١ ص ٢٨٥ - ٢٨٦ -

العلمية والمعرفية في الحضرة العلمية الإسلامية فقد نقل عنه وروى ما كتبه المتكلم المعتزلي عبد الجبار القاضي المتوفي في الربيع الأول من القرن الخامس الهجري « سنة ١٥ هـ » واعتبره من مصادره الأولى أو مصدره الأول في ما نقله عن مقالات وعقائد الديانات فهو يقول في باب الكلام على الثنوية (ونعتمد في كل ما نحكيه على ما أورده الحسن بن موسى في كتاب الآراء والديانات لأنه موثوق بحكايته) (المغني:ج ٥: ٩) (٣٧) وقد نقل عنه كثيرا القاضي عبد الجبار ، وقد ذكر أبي العباس أحمد بن علي النجاشي المتوفي في منتصف القرن الخامس الهجري « ٤٥٠ هـ » أنه قرأ هذا الكتاب على شيخه أبي عبد الله (٣٨) وهو كتاب كبير حسن يحتوي على علوم كثيرة (رجال النجاشي: ٦٣) ولم يصف النجاشي كتابا بفهرسته بهذا الوصف ، ولعله ينقض قول ابن النديم أنه لم يتمه (الفهرست: ٢٢٥) أو لعله تم نسخه وتداوله مع عدم اكتماله، وعده المعتزلي عبد الحميد بن أبي الحديد المتوفي في القرن السابع الهجري « ٦٥٦ هـ » في كتابه شرح نهج البلاغة من مصادره في نقل كلام أصحاب المقالات رغم ذكره مقتضبا باسمه في نصين أو ثلاث (٣٩)

(٣٧) الجزء الخامس من المغني جاء بعنوان « الفرق غير الإسلامية »

(٣٨) هو استاذه الشيخ ابا عبدالله محمد بن محمد بن النعمان المفيدت ٤١٣ هـ وعناية الشيخ المفيد به تؤكد أهميته العلمية والدينية عند رؤساء مذهب الإمامية (٣٩) ذكر قوله وقول جماعة من أصحاب كتب المقالات في ثنايا شرحه خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في الرد على ما قالت به الثنوية ج ١ ص ٨٢ وذكر قوله في هشام بن الحكم ج ٣ ص ٢٢٨ وذكر قوله في أهل الرواق من الفلاسفة ولعله يعنّب بهم الرواقيون القدامى ج ٣ ص ٢٣١ -

منذ عهد المنصور العباسي تـ ١٥٨ هـ إلى نهاية القرن الخامس الهجري وكانت تدير الأرصاء ودور العلم والخراج جيل بعد جيل ولازمت دينيا مذهب الشيعة - الإمامية ورغم هذا حظيت باحترام الدولة العباسية ونشأت لها مكانة علمية واجتماعية (مقدمة فرق الشيعة: ٨-٩)، ويعد آدم متز الحسن بن موسى النوبختي مؤلف أول كتاب له شأن وفق قوله في الآراء والديانات (الحضرة الإسلامية: مج ١، ٣٨٤)، لكن أبو عيسى الوراق كان قد سبقه فهو أول من كتب وألف فيها ، وذكر المؤرخ المسعودي معرفته بمذاهب وأديان الهند وآرائهم والعلة التي من أجلها أحرقوا أنفسهم في النيران من خلال كتاب «عيون المسائل والجوابات» لأبي القاسم البلخي وكتاب « الآراء والديانات » للحسن بن موسى النوبختي (مروج الذهب: ج ١، ٩٤)، لكن أبو القاسم البلخي في كتابه المقالات وتكلمته عيون المسائل والجوابات لم يعرض إلا مقالات الإسلاميين وأشياء من مقالات وآراء الديانات وأكثر مقالات الملحد من الفلاسفة ولم يذكر مذاهب الهند وطوائفها إلا إذا كان يعني فلاسفة الهند من غير القائلين بالألوهية ، ولعل تعويله في معرفة مذاهب الهند على كتاب النوبختي كان الأكثر والأهم .

ويبدو أن كتاب النوبختي كان متداولاً إلى أزمنة متأخرة بعد وفاته فهو يعود في عصر تأليفه إلى النصف الثاني من القرن الثالث الهجري على أثر كتاب المقالات لأبي عيسى الوراق الذي كتب في النصف الأول من هذا القرن وكتاب محمد بن شداد المعروف بزرقان المجهول تاريخاً وتأليفاً ولم يقدر لهما البقاء والحفظ إلا رواية عن نقل عنهما ، لكن كتاب « الآراء والديانات » قد احتفظ به أهل العلم وأرباب التأليف إلى وعاش أكثر من أربعة قرون بعد تأليفه مما يعكس أهميته

إلا إنه قال فيه (الحسن بن موسى النوبختي من فضلاء الشيعة) (شرح النهج:ج٣: ٢٢٨) .
وإذا كان أولئك العلماء المسلمون الثلاثة ممن أرسى قواعد هذا العلم وكتبوا في تفاصيل وعقائد الديانات من غير الإسلام وسواء كانت هذه الأديان كتابية أم شبه كتابية أم ليست كتابية بالمجمل من وجهة نظر العقيدة الإسلامية وأضافوا إليها آراء وأقوال الفلاسفة القدامى، فإنهم سعوا إلى الالتزام بأمانة النقل العلمي وعدم التزيد في النقل وقد نقلوا عن مصادر هذه الديانات سواء من ترجمات كتبها أو من ألسنة رجالها وعلمائها وكانت تمهد لهم في ذلك تلك الأجواء والمناخات العلمية التي ازدهرت في القرن الثالث الهجري وبدأت فيها ظاهرة الجدل الكلامي أو ازدهار علم الكلام الإسلامي متنوعا فاشتملت تلك الحركة العلمية الجدلية على التزود بعلوم عقائد ومقالات الديانات التي اشتملت على شعوبها ودولها أو جاورتها إدارة وسلطة الدولة الإسلامية الصاعدة منذ قرنين من الزمان، وكانت النخبوية حالة ظاهرة وفاعلة في ارتياد هذا النوع من العلوم فلم يكن في بدء أمره متاحا أو مطلوبا من كل علماء الإسلام فقد اقتصر في البدء على المتكلمين والمشتغلين بكتب الفلسفة وذوي الحرفة في التأليف والنسخ والمشتغلين بعلوم العقائد ومن الموسوعيين الذين أخذوا من كل علم طرفا وبعضهم تنقل بين الأفكار والمذاهب فاكتسب خبرة العقائد والمقالات عيانا من مصادرها وقد أورثهم ذلك ما خلا النوبختي مزيدا من القدر والذم وعدم الثقة من قادة الرأي العام في الإسلام من الفقهاء ورؤساء المذاهب والفرق، وتكشف سيرة المؤسسين لعلم الأديان الإسلامي ولاسيما السوراق ويضاف إليه ابن الراوندي الذي يعد من أولئك المؤسسين لكن عدم الإشارة إلى كتاب له في

المقالات جعلنا نستثنيه من الذكر وتشير المصادر إلى تعلمه المقالات من أستاذه وصاحبه السوراق أو ما عبروا عنه بالكفر والزندقة وقد ذم البعض من المحدثين زرقان واتهم بالوضع وتعاملوا معه بالترك.

ولا يفوت أن نذكر أن هناك عالما آخر من علماء القرن الثالث الهجري قد شارك في التأسيس في هذا العلم وهو أبو العباس الإيراني شهري تد بعد ٢٥٩هـ لكن شحة المعلومة وضياح كتابه جعلت من العسير التصدي إلى ذكره وتاريخه ولم يعرف عنوان كتابه وقد عرض فيه عقائد اليهود والنصارى وما جاء في التوراة والإنجيل كما أورد البيروني (الفكر الإسلامي في الرد على النصارى:١٦٥) ولأهمية كلام البيروني في مضمارة هذا العلم وفي أبي العباس الإيراني شهري فإننا ننقله بنصه قال (فما وجدت من أصحاب كتب المقالات أحدا قصد الحكاية إرادة من غير ميل ولا مهادنة سوى أبي العباس الإيراني شهري ... ولقد أحسن في حكاية ما عليه اليهود والنصارى وما يتضمنه التوراة والإنجيل وبالغ في ذكر المانوية وما في كتبهم من خبر الملل المنقرضة وحين بلغ فرقة الهند والسمنية صاف سهمه عن الهدف وطاش في آخره إلى كتاب زرقان ونقل ما فيه إلى كتابه، وما لم ينقل منه فكأنه مسموع من عوام هاتين الطائفتين) (في تحقيق ما للهند:٥) وينقل عنه ما حكى من عقائد الشمسية ويبدو أنه الوحيد من المصادر التي اعتمدها في نقل عقائد هذه الطائفة الهندية رغم أنه يقول في ما كتبه عنهم (وإن كنت أظن أن حكايته غير محصلة أو من غير محصل) (في تحقيق ما للهند:٢٠٦) .

وبعد ذلك تلت موجة من التأليف في عقائد ومقالات الفرق في الإسلام مع نهاية القرن الثالث الهجري وبدأ القرن الرابع الهجري وأول كتابين

إليه تلك الفرق والمذاهب في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري و القرن الرابع الهجري الذي شهد تطورا وتبلورا واضحا في علم الكلام الإسلامي واهتماما واسعا بالاستدلالات العقلية التي اعتمدها رؤساء الفرق والمذاهب الإسلامية وهو العصر الذي تشكلت فيه وتنظمت عقائد وأصول الفرق والمذاهب الإسلامية، ولعل حركة التأليف في المقالات والفرق الإسلامية جاءت بعد التطور الحاصل في علم المقالات والأديان عند متكلمي وعلماء الإسلام بتأثير حركة النسخ للكتب وترجمتها التي قام بها علماء الإسلام عن الديانات السائدة في ذلك العالم الوسيط الذي تتمدد على جغرافيته أو تحادده أو تتواصل معه حضارة الإسلام ودولته وهو العالم الممتد من شرق آسيا حتى أواسطها وصولا إلى غربها وهو العالم الذي يظل مصدرا ومستودعا ومألفا للأديان منذ فجر التاريخ وحتى يومنا المعاصر الذي شرحت وأرخت لمذاهبه وفرقه مؤلفات وكتب متكلمي الإسلام وعلمائه وفي نطاق علم الأديان الإسلامي وتحت عناوين الملل والنحل أو المقالات أو الآراء والديانات أو المقالات والديانات .

وضعنا في هذا المجال الخاص بمقالات و فرق الإسلام على وفق ما وصل إلينا هما كتاب المقالات لأبي القاسم البلخي الكعبي المعتزلي إذ ذكر في مقدمته أنه كتبه في سنة ٢٩٠ هـ وكتاب فرق الشيعة لمؤلفه المتكلم المتفلسف الإمامي الحسن بن موسى النوبختي ويبدو أنه قد وضعه في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ثم كتاب « مقالات الإسلاميين » لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري تـ ٣٣٠ هـ الذي كان أكثر تنظيما ودقة في تبيان مقالات وعقائد فرق الإسلام ومذاهبه كافة^(٤٠) ، ورغم أنه ينعى على من سبقه ممن كتب في المقالات أنهم (بين مقصر في ما يحكيه وغالط في ما يذكره من قول مخالفه وبين معتمد للكذب ... وبين تارك للتقصي ... وبين ما يضيف إلى قول مخالفه ...)^(٤١) إلا أن كتب الثلاثة المؤسسين ما خلا زرقان حظيت بالتقدير والاهتمام والوثاقة من متكلمي وعلماء الإسلام ويبدو أن الأشعري يعني بهم من كتب في مقالات الإسلاميين أو فرق الإسلام خاصة .

ولعل جاء وضع هذه الكتب في مقالات الفرق الإسلامية مع التبلور والنضج الذي وصلت

(٤٠) بينما إفتقدت الكتب المؤلفة بعدها ومنذ القرن الخامس الهجري هذه الموضوعية والدقة في النقل عن الملل والنحل والفرق وأهل الأهواء والبدع وقد جاءت العناوين فيها بهذه الأسماء التي تؤكد الإنحراف عن الموضوعية العلمية وهيمنة الأيدلوجيا المذهبية المتعصبة.

(٤١) مقالات الإسلاميين، أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، محمد محي الدين عبد الحميد، السنة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ج١ ص ٢٣ -

المصادر والمراجع

- كتاب الفهرست للنديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالوراق، تحقيق رضا تجدد، طهران، السنة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م
- شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية، السنة ١٩٦١م - علم الأديان مساهمة في التأسيس، ميشال مسلان، ترجمة عز الدين عناية، الناشر كلمة والمركز الثقافي العربي، السنة ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م
- الموروث العراقي القديم في الحضارة الإسلامية « كتاب الفلاحة النبطية المنسوب لابن وحشية نموذجاً»، د.قيس يس، منشورات الجمل، بيروت - بغداد، السنة ٢٠١٤م
- المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي أبي الحسن عبد الجبار الأسدي، تحقيق د. محمد محود قاسم مراجعة د. إبراهيم مذكور إشراف د. طه حسين، الشافعي في الإمامة المؤلف: الشريف المرتضى: مؤسسة الصادق - طهران السنة: ١٤١٠ هـ. الطبعة: الثانية
- كتاب فرق الشيعة، العلامة هبة الدين الشهرستاني، المطبعة الحيدرية، السنة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م، الطبعة الرابعة
- رجال النجاشي، الشيخ أبي العباس أحمد بن علي النجاشي، تحقيق موسى الشبيري الزنجاني، مؤسسة النشر الإسلامي / قم، السنة ١٤٢٩هـ الطبعة التاسعة
- فهارس الشيعة، جمع وتحقيق مهدي خداميان الأرنائي، الناشر مؤسسة تراث الشيعة / قم، السنة ١٤٣١هـ الطبعة الأولى
- كتاب المقالات، لأبي القاسم البلخي، حققه د. حسين خانصو ود. راجح الكردي ود. عبد الحميد، دار الفتح،
- السنة ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م الطبعة الأولى
- الاثار الباقية، أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي، دار صادر بيروت
- الفكر الإسلامي في الرد على النصارى الى نهاية القرن الرابع / العاشر، عبد المجيد الشرفي، دار التونسية للنشر - تونس والمؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر، السنة ١٩٨٦م
- الانتصار على ابن الراوندي الملحد، أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد عثمان الخياط المعتزلي، تحقيق د. نيرج، تقديم عبد الأمير الأعسم، دار التكوين سوريا، السنة ٢٠١م الطبعة الأولى.
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط أكرم البوشي، مؤسسة الرسالة بيروت، السنة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م الطبعة الثانية.
- البداية والنهاية، عناد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير البصري دمشقي، راجع نصه وضبطه د. سهيل زكار، دار صادر بيروت، السنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م الطبعة الأولى.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، السنة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م الطبعة الأولى
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، ضبط أسعد داغر، دار الأندلس بيروت
- معجم البلدان، العلامة ياقوت الحموي، دار بيروت ودار صادر بيروت السنة

- تاريخ بغداد أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، السنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م الطبعة الأولى ٣٧٦هـ - ١٩٥٧م
- ما للهند من مقولة مقبولة ومرذولة، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن- الهند، السنة ١٣٧٧هـ-١٩٥٨م
- لسان الميزان ، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت لبنان ، السنة ١٩٧١م - ١٣٩٠هـ. الطبعة الثانية
- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها ، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي بن عساكر ، تحقيق علي شيري دار الفكر بيروت - لبنان السنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م الطبعة الأولى
- التنبيه والإشراف ، أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي ، تصحيح ومراجعة عبد الله إسماعيل الصاوي ، مكتبة المثنى - بغداد ، السنة ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م
- بني نوبخت ، عباس إقبال الأشتياني ، ترجمة علي هاشم الأسدي ، مجمع البحوث الإسلامية / مشهد، السنة ١٤٢٥هـ. الطبعة الأولى ،
- معجم البلدان:، اشعاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، دار صادر ودار بيروت - بيروت ، السنة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م
- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، آدم متز ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده ، دار الكتاب العربي ومكتبة الخانجي - بيروت ، السنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م ، الطبعة الرابعة
- مقالات الإسلاميين، أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، محمد محي الدين عبد الحميد، السنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م